ركب الحج الجزائري والطريق الى بلاد الحرمين الشريفين خلال الفترة الوسيطة

Le pèlerinage algérien et route vers la mecque pendant la période médiévale

The Algerian pilgrimage and road to the Mecca during the medieval period

د. علي عشي. أستاذ محاضر"أ"

قسم التاريخ والآثار. جامعة باتنة 01 (الجزائر)

Maktoob72@gmail.com

تاريخ الإرسال: 21 – 12 – 2018 تاريخ القبول: 24 – 01 – 2019 تاريخ النشر: 28 – 05 - 2019

الملخص

الحج ركن هام من أركان الإسلام ومن أجل ذلك اعتنى المسلمون وحكامهم بالحج منذ فجر الإسلام فاهتموا بحفر الآبار والعيون في الطرق المؤدية إلى البلاد الحجازية، وأنفقوا المال الكثير لتجهيز هذه الطرق بكل مستلزمات الرحلة و أماكن للإقامة وتوفير الأمن بل وإنشاء موكب سنوي دائم للحج والعناية بالحجاج.

وعُرف أهل المغرب الأوسط كغيرهم من المغاربة عبر تاريخهم الاسلامي الطويل بحرصهم الكبير على أداء فريضة الحج، وما سنحت لهم به هذه المناسبة السنوية من فرص اللقاء والتواصل مع إخوانهم المسلمين، فضلا عن أن رحلة الحج ذهابا وإيابا كانت تتخللها لقاءات علمية بين أهل العلم من شيوخ وطلبة.

وسلك حجاج المغرب الاوسط ثلاث مسالك وطرق مؤدية الى الحرمين الشريفين منها الطريق البري الداخلي والطريق الصحراوي والطريق البحري ولم يكن كل طريق ثابت بل يتغير من فترة لأخرى حسب الظروف الطبيغية والسياسية وحتى الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية:الحج، المغرب الأوسط الركب، المسالك، الطرق، الحرمين الشريفين.

Summary :

Pilgrimage is an important pillar of Islam. For this reason, the Muslims and their rulers took care of Hajj since the dawn of Islam. They took care of drilling wells and springs in the roads leading to the Hijaz country, and spent much money to prepare these roads with all the necessities of the journey and places to stay and provide security. The people of the Mid Maghreb, like other Maghribins, knew through their long Islamic history their keenness to perform the Hajj, and the annual occasion of their opportunity to meet and communicate with their Muslim brothers, as well as the pilgrimage back and forth was interspersed with scientific meetings between the scholars of the elders and students . Pilgrims of the Middle Maghreb traveled three routes and roads leading to the two Holy Mosques, including the inland road, the desert road and the sea road, and not every road was fixed but changed from time to time according to the natural, political and even economic conditions.

Pilgrimage is the fifth pillar of Islam. Since the conquest, Morocco has known various pilgrimage trips, but it was a personal initiative. Perhaps the oldest of the echo of this ride is due to the middle of the monotheistic era. After the "righteous knees" of my sorrow, be "Forsy knees" and ride "Zayani" and then ride Sijmasi and Marrakesh and Shanqeeti.

The people of Middle Morocco, like other Moroccans, knew through their long Islamic history their keenness to perform Hajj as one of the pillars of Islam first. They had the opportunity to meet and communicate with their Muslim brothers from other Muslim countries, Hajj back and forth was interspersed with scientific meetings between the scholars of the elders and students.

Morocco was the center of the "Algeria" link between Andalusia and the Orient, as the Moroccans in the forefront of peoples loving trips and knowledge of the conditions of nations, and the Islamic religion was the greatest credit in planting the journey in them to go to the Hijaz to perform Hajj and seek science and trade) To visit the Holy Places.

Is a duty imposed on all Muslims, which gave him importance and fame in all the Islamic countries and the Islamic Maghreb is certainly part of it, and the people of the West used to perform in a mass procession was known until recently by the Moroccan pilgrim, which was the best framework and the most effective means To enable as many Moroccans as possible to perform their duties.

The organization of the first official ride in this era was accompanied by the expansion of the Marines in the lands of the Middle East, which was carried out by Sultan Abu Yaqoub Yusuf Al-Nasir (685-706), when Tlemcen was besieged for eight years beginning in 698 AH / 1299. Since this was the first mission of the Marines, Is especially important, and organized by Sultan Yusuf, the best organization and ordered the reproduction of a Koran fine works, written by Ahmed bin Hassan Balaiani Tlemceni.

keywords: Pilgrimage, Mid Maghreb riding, tract, roads, the two Holy Mosques

==========

مقدمة:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام حيث يقول الله تعالى"ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" [1]، وقد عرف المغرب منذ الفتح رحلات حج متنوعة ومختلفة لكن كانت بمبادرات شخصية، ولعل أقدم ما بلغنا من صدى عن هذا الركب يرجع إلى أواسط العهد الموحدي، ولكثرة ما تملك المغاربة من هيام بتلك البقاع تعددت الركاب المغربية، وهكذا فبعد (الركب الصالحي) من أسفي، تكوّن "الركب الفاسي" والركب"الزياني" ثم الركب السجلماسي والمراكشي والشنقيطي.

وعُرف أهل المغرب الأوسط كغيرهم من المغاربة عبر تاريخهم الاسلامي الطويل بحرصهم الكبير على أداء فريضة الحج باعتبارها ركنا من أركان الاسلام أولا، وما سنحت لهم به هذه المناسبة السنوية من فرص اللقاء والتواصل مع إخوانهم المسلمين من أقطار المسلمين من أقطار الاسلام الأخرى، فضلا عن أن رحلة الحج ذهابا وإيابا كانت تتخللها لقاءات علمية بين أهل العلم من شيوخ وطلبة[2].

وكان المغرب الأوسط"الجزائر" همزة وصل بين الأندلس و المشرق،كما كان المغاربة في مقدمة الشعوب المحبة للرحلات و الإطلاع إلى أحوال الأمم، وكان للدين الإسلامي الفضل الأكبر في غرس الرحلة في نفوسهم بالذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وطلب العلم و التجارة[3] ثم إلى الشام لزيارة الأماكن المقدسة.

ومن هنا يمكننا طرح إشكالية رئيسية **ركب الحج الجزائري والطريق الى بلاد الحرمين الشريفين، بين الجهود الشخصية ومساهمات الدولة .**

أهمية الدراسة : 1- إبراز دور الحجاج الجزائريين في تثبيت الركن الخامس في صفوف الشعب

2-إظهار الدور الحضاري الثقافي للركب الزياني.

3- تتبع أهم المسالك والطرق التي يتبعها حجاج الجزائر للوصول الى البيت الشريف

المنهج المتبع: ان طبيعة الموضوع تتطلب استخدام المنهج التاريخي من خلال سرد بعض الاحداث التاريخية، والمنهج الوصفي لتتبع سير الرحلات الحجية.

---

1) سورة آل عمران الآية97.

2) محمد بن معمر: رحلات الحج من المغرب الاوسط الى مكة المكرمة خلال العصر الوسيط، مجلة الحضارة الاسلامية، معهد الحضارة الإسلامية وهران، المجلد 18، العدد1، ربيع الثاني1439هـ/ديسمبر2017، ص278.

3) عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين7ه و8 ه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص77.

==========

أولا:موكب الحج في المغرب الاوسط جذور واستمرا.

الحج في الاسلام هو فرض عين وجبت تأديته على جميع المسلمين، مما أضفى عليه أهمية وشهرة واسعة في كامل البلاد الاسلامية والمغرب الاسلامي أكيد هو جزء منه، واعتاد أهل الغرب الاسلامي تأديته في موكب جماعي ظل يعرف إلى عهد قريب بركب الحاج المغربي، والذي كان يشكل الاطار الامثل والوسيلة الانجع لتمكين أكبر عدد ممكن من أهل المغرب من أداء مناسكه[4].

ومن الدلائل على وجود قوافل الحج المنطلقة من أنحاء المغرب الاسلامي إلى مكة أشار ناصر خسرو إلى قافلة عظيمة أتت من بلاد المغرب سنة440هـ/1048م وتعرضها للمخاطر في المدينة المنورة[5].

وهذا يدل على أن قوافل الحج كانت موجودة ولها أوقات محددة للانطلاق من أنحاء المغرب كلها لتصل الى مكة في الوقت المناسب، إلا أن تلك القوافل لم تكن تخرج مع أمير للحج يتولى أمرها، ويعود السبب في ذلك إلى كثرة القوى السياسية التي تحكم المناطق من المغرب الاسلامي، وأن خروج أمير حج رسمي يمثل إحدى تلك القوى سيعرضه والحجاج الذين معه إلى المخاطر من قبل القوى الأخرى، لذلك كانت رحلات الحج المغربية الى مكة رحلات شخصية وتخرج بجهود شخصية[6].

وخير مثال على ذلك العداء السياسي بين العباسيين والاباضيين في المغرب الاوسط، لهذا أحجم الامام عبد الوهاب بن رستم(171-211هـ/787-826م) عن أداء فريضة الحج خشية الوقوع في يد العباسيين ودعم ذلك بفتوى من فقهائهم، بسقوط الحج لعدم الامان[7]، ولما استقرت الامور لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فاستخلف ابنه أفلح، واصطحب زوجته وجمع كبير من رجاله وسلك عبد الوهاب الطريق الصحراوية المارة بقسطيلية وجبل دمر جنوب قابس، وصولا الى جبل نفوسة[8].

كما تذكر المصادر الاباضية أن الامام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ) طلب منه ابنه أبو اليقضان محمد الاذن له بالحج، فسمح له بالخروج مع ركب من الحجاج الاباضيين الذين وردوا مكة سنة 238هـ،

---

4) دعاء عبد الرحمن علي: ركب الحاج المغربي وأثره على الاوضاع الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي "الأسواق أنوذجا" مجلة الانسان والمجال، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي ، البيض، الجزائر، العدد 5، أفريل 2017، ص7.

5) سفر نامة، رحلة ناصر خسرو الى لبنان وفلسطين والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، نقله الى العربية يحي الخشـــاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص112.

6) وجدان فريق عناد: صور من حج الزعماء والحكام في المغرب العربي الاسلامي حتى نهاية عصر الموحدين، المجلة الدولية للبحـــوث والدراسات الانسانية، العدد2، المجلد2، ديسمبر2016، ص77.

7) عبد الرزاق محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985، ص186.

8) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الاسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، الدار القوميـــة للطباعـــة والنشـــر، الاسكندرية، ص237.

فاكتشف أمره بني العباس السنيين فأسروه[9]، حيث أمر الخليفة العباسي الواثق بحبس أبي اليقظان، وفي السجن التقى أبو اليقظان بالمتوكل أخ الخليفة الواثق فأصبح صديقا حميما له، وسيصبح لهذه الصداقة أثرها في حياة أبي اليقضان بعد ذلك[10] ولما علم أفلح بما حدث لولده أبي اليقظان اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموما محزونا إلى أن وافته المنية سنة 240هـ/ 854م[11].

وتسبق موكب أو ركب الحج مظاهر من الاستعداد والاهتمام حيث تمدنا المصادر بمعلومات وان كانت قليلة عن هذا الاستعداد حيث تخرج أطلاب السلطان من كل أرجاء البلاد وفيها الخيل والهجن، وتصنع القدور وتحمل على الجمال ليطبخ فيها

وعرف ركب الحج تطورا خلال العهد الموحدي من حيث التنظيم والاستمرارية، إذ تأسس أول ركب حج مغربي بالمعنى الحجقيقي وهو الركب الصالحي، على يد أحد أعلامهم وهو الشيخ الامام الداعية أبي محمد صالح الماجري المتوفي631هـ وقد ظل هذا الركب ملتزما في هابه وأيابه بنفس الطريق مرورا بالمغرب الاوسط[12].

واقترن تنظيم أول ركب رسمي في هذا العصر بالتوسع المريني في أراضي المغرب الاوسط الذي قام به السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر(685-706هـ) حين حاصر تلمسان مدة ثماني سنوات ابتداء من سنة 698هـ/1299، وبما أن هذا الركب أول ما بعثه المرينيون فقد كان يكتسي أهمية خاصة، ونظمه السلطان يوسف أحسن تنظيم وأمر باستنساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه أحمد بن حسن البلياني التلمساني[13].

وفي هذا يقول ابن خلدون" لما استولى السلطان على المغرب الأوسط بممالكه وأعماله، وهنأته ملوك الأقطار وأعراب الضواحي والقفار، وصلحت السابلة ومشت الرفاق إلى الآفاق، استجد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم. ورغبوا من السلطان إذنه لركب الحاج في السفن إلى مكة، فقد كان عهدهم بعد بمثلها لفساد السابلة واستهجان الدول. فسما للسلطان في ذلك أمل ودخله بحرم الله وروضة نبيه الشوق، فأمر بانتساخ

9) ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1986، ص64.

10) الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة، بدون سنة، ج1، ص26.

11) الباروني : الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، تحقيق وفهرسة أحمد كروم عمر بازين ، مصطفى ابن ديسو، تقديم إبراهيم بن بكير بحاز أحمد بن سعود السيابي ، الطبعة الثانية 1423 / 2002 ،ج2، ص221 .

12) محمد بن معمر: المرجع السابق، ص280.

13) كان قاضي للجماعة وتولى خطة شهداء بيت المال وأشرف على خطط العدالة وهي الشهادة على الداخل والخارج. **ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا، الجزائر، تقديم محمد بوعياد، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1981، ص313.**

مصحف رائق الصنعة كتبه ونفقه أحمد بن حسن الكاتب المحسن. واستوسع في جرمه وجعل غشاءه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت"[14].

كما أشار محمد المنوني إلى وثيقة معاصرة وهي رسالة صادرة عن السلطان يوسف المريني إلى كبير أشراف آل أمغار بالمغرب الاوسط يلتمس فيها تعيين ثلاثة رجال منهم ليتوجهوا إلى بلاد الحرمين الشريفين، لحمل المصحف وكسوة الكعبة وهي مؤرخة في 11 صفر703هـ/1303م[15]، وانطلق الركب من مدينة تلمسان في شهر ربيع الأول من سنة 703هـ/1303م، وعاد هذا الركب الى تلمسان في ربيع الثاني سنة 704هـ/1304م[16].

وفي شهر ربيع الأول من السنة الموالية وهي سنة704هـ، جهز السلطان يوسف ركبا رسميا آخر من تلمسان جعل إمارته لعلاء الدين أيدغدي[17]، وبعد استرجاع بني عبد الواد سيادتهم نظموا ركب الحج الخاص بهم من تلمسان في شهر بيع الاول سنة 724هـ/1324م وترأسه الامير أبو زكريا يحي بن عمر بن جرار العبد الوادي[18]، وكان ضمن الركب ابن مرزوق الوالد[19].

ويقول ابن مرزوق عن السلطان ابي الحسن المريني أنه كان يعمل على تمهيد السبيل لحجاج بيت الله، وكان دأبه المعونة على الوجهة لهذا العمل، ويجهز الركوبات دائما من المغرب، ولما نزل تلمسان وحاصرها كان أعظم ما نقم على صاحبها تعرضه للمتوجهين من المغرب برسم الحج، ولما فتحها صار يعين في كل سنة ركبا متوجها الى الحج[20].

كما هيأ هذا السلطان ركب للحجيج يوم 25 ربيع الأول سنة738هـ/1338م ينطلق من مدينة تلمسان تحت قيادة أبو سعيد عثمان بن يحي بن محمد بن جرار التلمساني، وقد استقبل هذا الوفد في القاهرة استقبالا كبيرا[21].

---

14) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ضبط خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج7، ص298-299.

15) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996، ص173.

16) محمد بن معمر: المرجع السابق، ص283.

17) ابن خلدون: العبر، ج5، ص481-482.

18) ابن خلدون: العبر، ج7، ص152-153.

19) ابن مرزوق الخطيب التلمساني: المناقب، تحقيق سلوى الزهاري، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، 2008، ص301.

هو أبو العباس أحمد ابن مرزوق(681-741ه/1282-1340م) قدم جده من مراكش المحروسة وكان صاحب مال وثروة ثم استوطن تلمسان ومارس مهنة الحاكة، وقد حج سنة 724هـ وسنة 735ه. **ابن مرزوق: المناقب، ص188-272.**

20) ابن مرزوق الخطيب: المسند، ص385؛ **ومحمد بن معمر: المرجع السابق، ص288.**

21) المقري: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج4، ص401-404.

ثانيا: مسالك الحجاج في المغرب الاوسط من خلال نماذج من رحلات حجية شهيرة

لا يمكن الحديث عن بداية الحج في المغرب الأوسط الجزائر" بمعزل عن بلاد المغرب الإسلامي بسبب الترابط الجغرافي واللحمة الاجتماعية، والتكامل في الطرق والمسالك[22].

والطرق التي يسلكها الحجاج المغاربة للوصول إلى مكة المكرمة عدة طرق منها الثابت والمتغير، وتبين من خلال الرحلات أن الطريق لم يكن نفسه، وإنما تعدد بين الطريق البحري بركوب البحر الأبيض المتوسط إلى غاية الاسكندرية مرورا بأراضي مصر فالبحر الأحمر في حين أغلب المغاربة اعتمدوا المسلك البري، الذي تنوع هو الآخر بين المناطق الداخلية والطريق الصحراوي، ويتحكم في ذلك مجموعة من الاسباب منا الظروف السياسية والأمنية والاقتصادية[23].

أ) الطريق البري:

مثلته عدة رحلات حجية مختلفة من الغرب الى الشرق ومن الشرق الى الغرب من خلال خط العودة، وكان هذا الطريق أكثرها انتشارا وشيوعا لكونه لا يتطلب امكانيات كبيرة، رغم ما يكتسيه من اخطار طبيعية وسياسية و اجتماعية متعددة، ومن الرحلات البرية المهمة رحلة العبدري.

لقد انطلقت رحلة العبدري في25ذي القعدة عام 688هـ/11ديسمبر1289م[24] وكان الانطلاق من مدينة حاحة[25] المغربية[26].هذه الرحلة سماها"ما سمى إليه الناظر المطرق إلى بلاد المشرق"ويسميها البعض ب"ملء العيبة فيما اجتمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة"[27]، وتعرف عادة بالرحلة المغربية.

وكان وراء رحلة العبدري سببان حملاه على المضي فيها، أولها:سبب ديني وهو القيام بفريضة الحج والاتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح العبدري مرارا بأنه كان ينوي الإقامة بمكة والمجاورة بها.

---

22) محمد بن معمر، المرجع السابق، ص278.

23) فوزية كراز: مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية الرحلات الحجازية، مؤتمر طـــرق الحـــج في إفريقيـــا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة إفريقيا العالمية، 2016، ص1.

24) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983، ج6، ص401.

25)**حاحة**: هي إقليم يحده من الغرب والشمال المحيط الأطلسي، ومن الجنوب جبال الأطلس ومن الشرق نهر أسيف نوال، ويشتمل على مدن كثيرة **أنظر الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، ط2، دار الغـــرب الإســـلامي، لبنـــان، 1983، ، ج1، ص95.**

26) العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 2005، ، ص40.

27) عمر فروخ: تاريخ الأدب، ج6، ص402.

وسبب ثانٍ هو رغبته في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم، وكان العبدري حريصا على البحث عن السند العالي، فيما أخذه عن هؤلاء العلماء والمحدثين، وكان العبدري في سؤال دائم عن الأحوال العلمية والثقافية في البلاد التي مربها.

أما بخصوص المناطق التي اجتازها في المغرب الأوسط فقد بدأها بالمفازة[28] التي في طريق تلمسان، حيث كانت طرقا مقطوعة بسبب قطاع الطرق من الأعراب، وقد اجتازها بفضل مساعدة رجال مسلحين عارفين بالطرق[29]، وهو ما يبين لنا الأوضاع المتردية خلال فترته من انتشار اللصوصية وقطاع الطرق، كما يبين العدد الكبير من الحجاج وهو ألف أنه ركب منظم لكنه غير رسمي، وأن تلمسان كانت محطة رئيسية لقوافل الحج المرتحلة من الجهات الغربية لبلاد المغرب الاسلامي[30].

ثم وصل إلى **تلمسان**، فوجدها بلداً حلت به زمانة(الآفة)، وقد شاهد جمعا من الحجاج ينيفون على الألف وردوها ووقفوا إلى أميرها الزياني أبي سعيد عثمان(681-703هـ)[31]، فأعطاهم دينارا واحدا فقط[32]، وهو دليل على انتشار الفقر وضعف اقتصاد الدولة الزيانية مما منع الملك من العطاء والكرم على حجاج بيت الله الحرام، كما نستشف من كلامه رواج التجارة بين فاس وتلمسان في الطريق البري الذي سلكه العبدري: فاس-وجدة-تلمسان، كما يبين لنا قوله:"وكنت حين وردتها قد أقمت بها مدة منتظرا للركب"[33] أي ركب الحجاج وهو ما يعرف بطريق الحج البري من بلاد المغرب الأقصى إلى البقاع المقدسة.

وعند وصول الركب، سار معهم قاصدا مدينة **مليانة** الخصيبة كما يصفها والتي تشرف من كثب على واد الشلف[34]، وقد كان تنقلهم برا عبر هذه الطريق، حيث تعتبر مليانة من المدن المهمة تجاريا، ومسلكيا، بفضل موقعها إذ يمر عليها المتوجه إلى الجزائر برا أو المتوجه نحو البحر في اتجاه كل من تنس وشرشال.

---

28) المفازة: البرية المقفرة المهلكة وسميت بذلك تفاؤلا من الفوز والنجاة. **إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستنبول ,الطبعة الثانية، 1989م، ج3، ص184.**

29) العبدري: المصدر السابق، ص45.

30) محمد بن معمر: المرجع السابق، ص281.

31) ملك الدولة الزيانية في هاته الفترة هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ملك تلمسان بين سنة681-703هـ.**عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للنشر والطباعة، الجزائر، 2011، ج2، ص73.**

32) العبدري: المصدر نفسه، ص47-48.

33) نفسه، ص54.

34) نفسه، ص78.

واصل السير منها إلى **مدينة الجزائر**، وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر، قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل[35].

وهو ما يبين بداية بروز مدينة الجزائر على الساحة المحلية والعالمية، بدل العواصم التقليدية كتلمسان وبجاية، كما يبين لنا التحصنات المحكمة لها مما يبين وجود خطر دائم يداهمها من البحر، سواء من الدول أو القرصنة البحرية.

لينتقل برا دائما إلى **مدينة بجاية**، وهي مدينة حصينة كبيرة مشهورة برية وبحرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان، رفيعة المباني، موضوعة في سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر، متحصنة بهما منيعة، فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع بها لطاعن وضارب[36]، ونفس الشيء يقال عن بجاية حيث لم يقدم لنا العبدري سوى وصف بسيط عن حصانتها وبأنها بحرية وبرية[37]، ولم يشر إلى النشاطات الاقتصادية الممارسة فيها، بل ركز على الجانب الثقافي، مما يجعل الرحلة قليلة الأهمية لوصف المناطق الساحلية، باستثناء ما تبرزه في بعض الحالات من مسالك برية وبحرية وكذا حصانة المدن ومنعتها أو وجود الخطر سواء من القرصنة أو الأعراب.

ثم تنقل من بجاية إلى **بني ورار** ثم إلى **ميلة**، مارا عليها مرور الكرام ويشير إلى بيئتها وطبيعتها، سوى ذكر إحدى عيونها الجارية[38]، مارا في حديثه نحو **مدينة قسنطينة**، التي وصفها بالمدينة العجيبة الحصينة، التي دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر كما يحيط السوار بالمعصم ومنعها[39]، ورغم قلة كلامه عن قسنطينة إلا أن مكانة قسنطينة بدأت في البروز كإحدى المدن الكبرى في الدولة الحفصية بل هي العاصمة الثالثة بعد تونس وبجاية.

ورغم تركيز العبدري على الجانب الثقافي إلا أنه ذكر لنا الفقيه الإمام أبا الحسن اللخمي[40]، وفتواه في حكم السفر إلى الحج مع فساد الطريق، وهل الأولى تركه احتياطا على النفس أو الاستسلام في التوجه إليه[41]،

---

35) العبدري: المصدر السابق، ص82.

36) نفسه، ص82-83.

37) وهو كلام ذكره قبله الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989 ، ج1، ص259.

38) العبدري: المصدر نفسه، ص93.

39) نفسه، ص93-94.

40) هو علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي، فقيه مالكي قيرواني الأصل سكن سفاكس، وتوفي بها سنة478هـ، له مصنفات منها التبصرة وهو تعليق على المدونة في فقه المالكية.**ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص298.**

واستحضار لهذه الفتوى في قسنطينة يبين فساد الطريق والخطر المهدد للحجاج خاصة من قطاع الطرق والأعراب، بسبب ضعف السلطة المركزية في كل من فاس وتلمسان وتونس.

ونلاحظ أن خط سير العبدري، كان نفسه خط سير ابن الفكون[42] سابقه في رحلته من قسنطينة إلى مراكش، ويتضح ذلك من خلال قصيدته التي لخصت الرحلة[43]، ولهذا لم يذكر العبدري بعض المدن التي مر بها مابين تلمسان ومليانة، وما بين الجزائر وبجاية وما بين بجاية وقسنطينة، بل ذكر مناطق أقل شهرة كمنطقة بني ورار، حتى يمثل نفس رحلة ابن الفكون.

ثم واصل العبدري السير من قسنطينة نحو **مدينة بونة**، التي قال عنها:"تغار لها العيون من جور النوائب ممتدة وتراعي من البحر جزره ومده، ومن المشاهدات التي رآها مصادفته زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حاصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم"[44]، وهذه شهادة حية من العبدري للخزي الذي بلغه المغرب الإسلامي في تلك الفترة والدرجة الكبيرة من الضعف أمام القراصنة الغربيين.

---

41) العبدري: المصدر السابق، ص96.

42)**الفكون** هو الأديب والشاعر أبو علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون" أو البكور"، رحل من قسنطينة إلى مراكش ومدح خليفة بني عبد المؤمن.**ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبـــو النـــور، دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1971، ج1، ص236.**

43) القصيدة طويلة وذكرها المقري في ن**فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، 1997، ج2، ص 283-284.** ومما جاء فيها:

فلما جئت ميلة خير دار	أمالتني بكل رشا أبي
وكم أورت ظباء بني ورار	أوار الشوق بالريق الشهي
وجئت بجاية فجلت بدورا	يضيق بوصفها حرف الروي
وفي أرض الجزائر هام قلبي	بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا	بلين العطف والقلب القسي
وفي تنس نسيت جميل صبري	وهمت بكل ذي وجه وضي
وفي مازونة مازلت صبا	بوسنان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد أمسيت رهنا	لظامي الخصر ذي ردف روي
وأبدت لي تلمسان بدورا	جلبن الشوق للقلب الخلي.

44) العبدري: المصدر نفسه، ص104.

أما خلال طريق العودة مرَّ على باجة ثم على خولان[45] ثم نحو **مدينة بجاية**، وأخذ طريق القلاع[46]، حيث يقول:وأخذنا طريق القلاع فدخلناها قلعة قلعة، وهي ذوات عدد، ثم على **قسنطينة** على الطريق الأول ثم على **بجاية**[47]، أي أن العبدري لم يسر على نفس طريق العودة بسبب استيلاء النصارى على بونة بل سلك طريقاً من القلاع تربط بين خولان إلى بجاية.

ثم سافر من بجاية فمرَّ على قرية ملالة وهي بالقرب منها، ومنها إلى **مليانة**، ومنها جهة اليمين نحو **مازونة** التي لم يمر عليها في طريق الذهاب، وصولا إلى مدينة **وهران**، التي قال عنها مدينة مليحة حصينة برية وبحرية، وهي مرسى تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي[48]، ونلاحظ أن العبدري خلال مرحلة العودة ذكر مدناً لم يذكرها في طريق الذهاب وهي مازونة ووهران مما يبين تغييره لطريق العودة أو أنه خلال الذهاب لم يعرها اهتماماً، كما يتبين لنا أن وهران خلال هذه الفترة لم تكن لها أهمية لأنها ميناء تابع لتلمسان لتصريف منتجاته، وممارسته للتجارة.

ثم من وهران توجه نحو **تلمسان**، وصادف قافلة كبيرة تزيد عن الألف خارجة منها نحو وجدة فقفل راجعا معهم[49]، وهذا يبين استمرار الطريق البري رغم المخاطر.

لقد تحدث أحمد البوني في القسم الخامس عشر من كتابه عن هجومات النصارى التي تحدث عنها العبدري فقال:"فإني قلت كم هجمت النصارى على بلدكم العناب، قلت: فيما أعلم أربع مرات أولاهن قريبة من زمن الشيخ الهواري، وقد كان في السادسة من عمره- لعله يشير إلى هجوم بيزة أعقبه احتلال المدينة سنة 426هـ/1034م- والثانية في حياة ابن عبد الجليل المذكور-هي حملة قامت بها فلنسية وميورقة سنة 801هـ/1399 م وباءت بالفشل الذريع، والثالثة عام982هـ/1574م والرابعة سنة 1016هـ/1607م. **أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تقديم سعيد دحماني، منشورات المجلس الشعبي البلدي، عنابة، الجزائر، ط1، 2001، ص76، و الهامش84.**

45) خولان بلدة صغيرة تقع غرب باجة على ضفاف واد كساب الذي يصب في واد مجردة وتقريبا في الموضع الحالي سوق الأربعاء بمحافظة جندوبة.**مراد عرعار: مقاربة حول طريق القلاع للعبدري، ضمن أعمال ندوة دولية شبكة الطرقات والمسالك ببلاد المغرب القديم والوسيط، سوسة60، من 6-8-أفريل2015، نشر مخبر البحث"اشتغال الأرض، التعمير وأنماط العيش في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، ص78.**

46) طريق القلاع البزنطية يبدأ من خولان ثم إلى قلعة شقبنارية، ومنها إلى ساقية سيدي يوسف إلى سوق أهراس إلى تيفاش إلى خميسة، الى سلاوة عنونة إلى الهرية إلى قسنطينة إلى جيجل إلى بجاية. **مراد عرعار: المرجع نفسه، ص90-91**..

47) العبدري: المصدر السابق، ص558.

48) المصدر نفسه، ص561.

49) نفسه، ص563.

أما عن **رحلة ابن مرزوق الخطيب للحج سنة 724هـ**، فقد اقتصر على ذكر المحطات الكبرى فقط في مسار موكبهم الحجي، وهي بجاية وقسنطينة وتونس والاسكندرية والقاهرة ومكة والمدينة[50].

حيث يذكر بأن الركب انطلق من فاس، وضم فقهاء من فاس وطنجة، ووصل الركب الى تلمسان، أين صاحبهم الفقيه أبو عمرو ميمون بن يوسف بن عبد الرحمن بن زاع، وابن يحي أبو بكر بن عبد الواحد المقري صهر ابن مرزوق، ومن أهل مليانة الفقيه القاضي الصالح ابن زكرياء يحي بن محمد وميمون الفاروندي[51].

ثم دخل الركب بجاية المحروسة، ولقي بها مجموعة من العلماء ومنها نحو قسنطينة، ومنها الى تونس والاسكندرية والقاهرة ومنها الى مكة والمدينة[52]، أما عن خط العودة فكان سنة 729هـ/1329م عاد الى المغرب الاوسط"الجزائر" على بلاد الجريد جنوب تونس وصولا الى تلمسان[53].

كما يمكننا الاستفادة من رحلة **العياشي**[54] خاصة أثناء عودته حيث سلك الطريق الداخلي أو طريق الهضاب العليا ولم يسلك الطريق الصحراوي الذي قدم منه، حيث يبين لنا أنه وصل الى توزر ضحى يوم الأربعاء الواحد والعشرين من شعبان 1072هـ/ 1663م، ووجد بها حجاج من أهل تونس وجربة، والتقى فيها بصاحبه الحاج سيدي سحراوي وهو من ركب حجاج الجزائر[55]، وهذا يبين لنا أن لحجاج الجزائر "المغرب الاوسط" مشاركة هامة في ركب الحجاج في مختلف مسالكه.

ثم ارتحل من مدينة توزر يوم الاحد وبدأ الركب في المرور بمدينة نفطة بعدما كانوا عزموا على سلوك الطريق اليمنى على الحامة، وهي المعهودة للاركاب لاتصال عمرانها، ومنها وصلوا الى قرية الكلابية، أين وجدوا الجراد قد فعل فعلته، ومنها الى الرقيق وهي إحساء متعددة وماؤها صاف، ثم ارتحل الركب ونزل قرب الأعرج[56]،

---

50) محمد بن معمر:المرجع السابق، ص285.

51) ابن مرزوق الخطيب التلمساني: المناقب، ص301.

52) نفسه، ص301-305.

53) نفسه، ص304.

54) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى العياشي، ولد في 29 شعبان1037هـ/4ماي 1628 م ورحلته الثالثة المدونة والتي كانت سنة 1072هـ/1661م، وتوفي بالطاعون سنة 1090هـ/1679م . **العياشي: اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الاثر، تحقيق نفيسة الذهبي، 1996مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص21-69.**

55) عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق سعيد الفاضلي، وسليمان القريشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ج2، ص535.

56) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج2، ص537.

وهي كلها قرى في المغرب الاوسط "الجزائر"، حيث وصلوا الى مدينة الخنقة، وهي المعروفة الآن بخنقة سيدي ناجي.

ثم ارتحل الركب منها أول يوم من رمضان يوم السبت نحو زريبة الوادي ضحى، وهي نصف الطريق بين الزاب وسيدي عقبة[57]، وعند وصولهم لهذه الاخيرة وجدوها مملوءة بالوباء، مما جعل الحجاج يسارعون للخروج منها نحو بسكرة التي نزلوها ضحى يوم الاثنين وكان حالها كحال سيدي عقبة موبوءة مات على إثره نحو سبعين ألف نفس[58].

وكان ارتحال ركب الحجاج من بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس مارا بقرية أمليلي ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الاخضري، ومنها الى بلدة تسمى لؤي ليصل الركب ظهرا الى المكان المسى بالدويسة "الدوسن حاليا" بينه وبين أولاد جلال نحو من فرسخ، وهناك أحاط بهم خطر الأعراب، مما جعلهم يعدلون يمينا في أرض وعرة نحو العوينة، ثم دماك، ثم أولاد سيدي مخلوف، وصولا الى الأغواط في السادس عشر من رمضان[59]، وارتحل الركب الى قرية الكراكدة، ثم بوسمغون ثم نحو مكناسة وفاس[60].

ب) الطريق الصحراوي:

يستخلص مسلك الحجاج في جهة الصحراء من عدة رحلات وتنقلات منها:

رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعمر التنلاني(1189ه) الذي اشتهر بين علماء عصره بكثرة رحلاته وتنقلاته طلبا للعلم أولا وزيارة للروضة الشريفة وأداء لمناسك الحج ثانيا وهو في كل هذا قد أرخ لنا لرحلات أربع[61].

وفي احدى رحلاته التي لا تزال مخطوطا دون رحلته الحجية التي جاءت تلبية لطلب أخويه في الله سيدي عومر بن سيدي عبد الرحمن، وابن عمه سيدي إدريس في أمر مرافقتهما الى الحج[62]، كان الانطلاق من قصر تنلان بعد صلاة الجمعة العاشر من شهر جمادي الثانية سنة 1188ه، ثم نزل مدينة تمنطيط أصفرار وأقام بها يوم السبت ومنها نحو زاوية الجديد ثم زاوية الرقاد وباتا فيها ومنها نحو قرية بوعلي وزار بها قبر الولي الصالح

57) المصدر نفسه، ج2، ص538.
58) العياشي: المصدر السابق، ج2، ص539-540.
59) المصدر نفسه، ج2، ص542-546.
60) نفسه، ج2، ص550-551.
61) محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، ص58 وما بعدها.
62) أحمد أبا الصافي جعفري: من تاريخ توات، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011، ص456.

العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، ورحل منها الركب يوم الاربعاء متوجهين لبلاد تدكلت، ثم واصلوا السير الى قرية تمقطن، ثم رحل زاوية أبي الانوار، و أقام بها ثلاث أيام، ثم رحل منها الى لأولف الأشراف ثم لزاوية تقرافت، ثم الى أولاد موسى، ومنها الى زاوية أبي نعامة، والذي أحيا سنة الحج من بلاد توات والتكرور، ومن هذه الزاوية وصولا الى عين صالح واستمرت الرحلة في الأودية والصحاري الجزائرية والليبية الى أن وصلوا نهر النيل والقاهرة[63].

كما برز طريق طريق بسكرة –جاو:يربط طريق بسكرة بورقلة منها إلى عاصمة سنغاي جاو، مرورا بتوات[64]. وتاغزة ثم تادمكة، و منها إلى جاو وهذا الطريق يذكره المؤرخون على أنه طريق ذو أهمية كبيرة غير أن إبن حوقل يقلل من قيمته، وطريق القيروان –توات سجلماسة[65]:هناك طريق آخر يربط تيهرت بالقيروان عبر مدينة ورقلة، فتخرج القافلة من تيهرت إلى ورقلة ثم إلى بسكرة إلى القيروان ،رغم إهمال الرحالة العرب له في مؤلفاتهم،إلا أنه كان مستعملا[66].

ونطرا لما اشتهرت به أسواق توات من رخص وتنوع السلع وانتظام خروج ودخول القوافل تحولت إلى سوق تجارية مربحة بعد أن كانت نقطة عبور في الصحراء[67] ، يقصدها التجار من كل حدب وصوب، وقد جذبت أيضا قوافل الحجاج العابرة للصحراء في طريقها إلى الأراضي الحجازية حيث كانت هذه القوافل تنطلق من مدن سجلماسة وتافيلالت وشنقيط كل عام وتسلك أثناء سيرها نحو الشرق الطريق المار داخل إقليم توات[68].

---

63) أحمد أبا الصافي جعفري: المرجع السابق، ص458-460.

64) **توات:** مدينة جنوبية في المغرب الاوسط اسمها ربطه المؤرخ السوداني السعدي بمرض سلطان مالي كنكاي موسى حيث أصيب بمرض في رجله أثناء مروره بالمنطقة وهو في طريقه الى البقاع المقدسة فيقي اسم المرض يميز المكان.**عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981، ص21**، وهناك من يرجع اسمها الى كلمة أعجمية أطلقتها قبائل لمتونة على هذا الاقليم عند لجوئها في منتصف القرن السادس الهجري.**فرج محمود: تاريخ توات خلال القرن 18 و 19، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، ص2.**

65) **سجلماسة:** من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء بينها وبين غانة مسيرة شهرين أسست سنة 140 هـ وهي مقصد للذاهب والوارد ولها إثنا عشر بابا . **الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، ط2، 1984، ص305-306.**

66) ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992، ،ص90-91.

67) جعفري مبارك بن صافي: من تاريخ توات أبحاث في الت ا رث، ط5 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2009، ص 121

68.عباس عبدالله: الدور الحضاري لإقليم توات،الملتقى الوطني الأول حول .العلاقات الحضارية بين توات و المغرب الإسلامي، أدرار، 2009، ص 538

إضافة الى رحلة **العياشي**، الذي انطلق من بلدته وصولا الى سجلماسة يوم الخميس أول ربيع الثاني سنة 1072هـ/1661م للالتحاق بركب الحج المتوجه الى بلاد الحجاز[69]، وكان رئيس الركب هو سيدي محمد بن الولى الصالح سيدي محمد الحفيان[70].

وعند وصوله الى سجلماسة يعطينا العياشي صورة عن وسائل النقل والركوب للحج متمثلا في الخيل، والعلف الخاص بهم حيث يذكر" وكنا قدمنا معنا بثلاثة من الخيل واشتريت آخر بسجلماسة وأعطيت أفضلها لأمير الركب، واستصحبت الثلاثة الباقية إلى توات، وكتب الأمير أيده الله إلى عكاله فيما استقبلنا من البلاد أن يمدونا بالمحتاج من علف إلى توات"[71].

وقد مر الركب بعدة قرى بين سجلماسة وتوات منها قرية أجلى وهي أول قرى وادي الساورة[72]، ثم قرية مازر ثم قرى بني عباس[73]، ثم وصلوا الى قرية يقال لها بشير، ثم قرية أخرى يقال لها بني خلف، وترك الركب قرى أولاد رافع عن يسارهم ثم قطع الحمادة وصولا الى قرى تسابت وهي أول عمالة توات[74]، وكلها قرى موجودة في المغرب الاوسط اعتاد ركب الحجاج السير عبرها.

ويقول العياشي ثم ارتحلنا من توات بعدما لحق بنا جملة ممن يريد الحج من أهلها يوم الخميس السابع من جمادى الأول وخلفنا قرى توات وراءنا وعدلنا ذات اليسار إلى بلاد أوكرت[75]، ونزل بقرى الدغامشة[76]، وهذا

---

69) عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، ج1، ص39، 67.

70) المصدر نفسه، ج1، ص72.

71) العياشي: المصدر السابق، ج1، ص74.

72) الساورة هي منطقة في الجنوب الغربي الجزائري، تضم حاليا ولاية بشار وأدرار وتندوف .أخذ الاقليم اسمه من الوادي الـــذي يخترقه من الشمال الى الجنوب ومنبعه جبال الاطلس الكبير طوله1200 كلم.**فوزية كراز: المرجع السابق، ص15**.

73) وهي ثلاث قرى متصلة في جبل صغير على شفير وادي الساورة فيها نخل كثير وفاكهة وبساتين وفيها ساقية من الماء الجـــاري العذب. **عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص76؛ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج4، ص271**.

74) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص78-79.

75) المصدر نفسه، ج1، ص80.

أوكرت :من القرى الكبيرة الواقعة في آخر بلاد توات.**ابن المليح: أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتـــهى الآمـــال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، فاس، 1968، ص30**، وهي آخر البلاد التي هي تحت طاعـــة الشـــريف صاحب سجلماسة . **عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص107**.

76) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص80.

يبين أن ساكنة المغرب الاوسط شغوفة بالحج والتوجه الى الحرمين الشريفين من خلال قدومهم من كل القرى جماعات وفرادى تجمعهم الرغبة في زيارة بين الله الحرام رغم المخاطر التي تحيط بهم الطبيعية والبشرية.

وكان رحيل ركب الحج من أوكرت صبيحة يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الاولى قاصدا واركلا[77]، حيث خرج معهم جملة من أهلها قاصدين للحج وسلكوا طريق وادي إيمكيدن، مع دليل من عرب الخنافسة لمعرفته بالطريق ومواطن المياه[78].

ثم واصل الركب طريقه من قرية والا ونزل ضحى بينها وبين القليعة[79]، وهي في طاعة سلطان واركلا وتعرف ببلدة سيدي الشيخ وأولاده حتى الآن يدعون أولاد سيدي الشيخ، وهو ولي صالح ثابر على فعل الخيرات من جهاد وحج، فقد أفنى عمره في التردد على الحرمين الشريفين[80]، وكلام العياشي يؤكد استمرار الرحلات الحجية من المغرب الاوسط الى الحجاز عبر مختلف العصور و الفترات التاريخية.

ثم ارتحل من واركلا يوم الاثنين ونزل ببلدة قريبة منها على نصف مرحلة تسمى مكوسا وهم في طاعة وادي ريغ، ثم واصلوا الطريق الى وادي ريغ في طريق ذات رمال لا يهتدى فيها إلا من مارسها كثيرا، وقد مر الركب ببلدة يقال لها أكرك وهي أول بلد وادي ريغ، ثم بلدة تماسن وهي بلدة كثيرة العمارة والنخيل وأميرها ابن عم أمراء تكرت وهو كالمستقل في بلده وأجزل ضيافة الحجاج[81].

ومنها إلى توكرت[82] قاعدة وادي ريغ، وكان ذلك يوم السبت 14 جمادى الثانية، ونزلوا بباب المدينة المسمى باب السلطان، وصادف دخولهم اليها دخول قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وابل وزرع[83].

الدغامشة :ضبطها ابن المليح بالعين وسما ها الصغير الافراني في الصفوة الدغامسة وهي قرى كثيرة بقرب بلاد توات. **أنس الساري والسارب، ص30؛ و صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التـــراث الثقـــافي المغربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2004، ص169.**

77) واركلا: مدينة في طرف الصحراء مما يلي إفريقية بينها وبين القيروان 31 يوم وهي محط القوافل التجارية .**الحميري: المصـــدر السابق، ص600.**

78) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص107.

79) القليعة تصغير قلعة وهي قرية حصينة على حجر صلد في سفح جبل منقطع عنه وبها آبار كثيرة طيبة الماء ونخيل ليس بكـــثير .**عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص111.**

80) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص111.

81) المصدر نفسه، ج1، ص119

82) **توقرت أو توكرت** مدينة بالقرب من درجين وبالقرب من نفطة من بلاد الجريد. **الحميري: المصدر السابق، ص33.**

ومنها إلى سوف أو وادي سوف، حيث خرج الركب من تكرت يوم الاربعاء 18 جمادى الثانية، في بلاد ذات رمال كثيرة، وخط من النخل مستعرض في وسط الرمل قد غلب على أكثره، وفيه بلاد عديدة، وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض، ثم نزلوا على ماء يقال له الرباح، ومنه الى العلندا[84].

ومنها نحو احدى قرى نفزاوة[85] بالمغرب الادنى، وبلاد نفزاوة هذه قرى كثيرة تقرب من الألف، كل قرية منفردة وحدها على نشز من الارض بنخل مجتمع بإزائها، وفي اليوم الثالث رحلوا من نفزاوة تاركين جبال مطماطة على يمينهم وهي تابعة لعمالة قابس أين صادفوا مراد باي بن حمو باي عامل تونس[86].

وقد مر الركب بقرى متعددة منها قرية عرام الصغيرة والتي التقى فيها مع ركب أهل تونس القافلين من الحجاز[87]، وهذا يدل على أن الطريق معتادة السلك والاتباع من قبل الحجاج، وبعده بمسافة قصيرة إلتقوا بركب حجاج الجزائر، بمنطقة الزاوية الغربية، وكان وفدهم قافلا من الحجاز ومعهم سيدي عبد الحفيظ ابن الوالي الصالح سيدي محمد الصيد الطرابلسي، متوجها الى جزيرة جربة، وكان امير ذلك الركب سيدي محمد بن المسعود من بلاد سدوكال- واعتقد أنها مدوكال وهناك خطأ مطبعي للنساخ-وله رباع ببسكرة وربما استوطنها، وكان والد الأمير المذكور من أهل الصلاح، وممن كان يتردد بالركب الشريف، ومما لقى العياشي في هذا الركب الحاج الأبر الشيخ إبراهيم بن جلاب الريغي أخو الأمير العادل الشيخ أحمد والد أمير بلاد ريغ في هذا العهد، وكان مجاورا بالحرمين عدة من السنين[88].

---

83) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص114، 120.

84) المصدر نفسه، ج1، ص122-123.

85) **نفزاوة**: مدينة من أعمال إفريقية قال عنها البكري: وتسير من القيروان إلى نفزاوة ستة أيام نحو المغرب وبمدينة نفـــزاوة عـــين تسمى بالبربرية تاورغي وهي عين كبيرة لا يدرك قعرها ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وفيها جامع وحمام وأسواق حافلة وهي كثيرة النخل والثمار وبين مدينة نفزاوة وقابس ثلاثة أيام، وقد ضبطها ياقوت الحموي بكسر النون وبألها مدينة من أعمال افريقية ووردت عند ابن خلدون بفتحها. **البكري: المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج2، ص224؛ و معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج5، ص296.؛ التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا،دار الكتاب اللبناني، 1979، ص248.**

86) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ج1، ص125، 127-128.

87) المصدر نفسه، ج1، ص129.

88) نفسه، ج1، ص133.

ثم ارتحل الوفد قاصدا مدينة طرابلس[89]، ودخلوها ظهر يوم الاربعاء في السابع عشر رجب الفرد وهي مدينة مساحتها صغيرة وخيراتها كثيرة، وكان عادة الركب إذا دحل هذه المدينة سيما في الذهاب، أن يقيموا بها نحوا من شهر يستعدون فيها لدخول المفازة التي قل نظيرها، وهي مفازة برقة[90]، ومن هذه المدينة يشتري الحجاج ما يحتاجون من الابل والقرب ويتخذون زاد نحو ثلاثة أشهر الى مصر[91].

ومن مصر يتوجه وفود الحجيج المغاربية الى بلاد الحجاز في نفس الطريق القديم المعتاد.

أما طريق عودة العياشي الى موطنه مارا بالمغرب الاوسط "الجزائر" رفقة ركب الحج فقد كان مختلفا، حيث تم سلك الطريق الداخلية أو ما يعرف بطريق الهضاب.

ج) الطريق البحري:

ظهر دوره جليا بعد غزو بني هلال لبلاد المغرب، حيث أصبح الحج برا مستحيلا، وأن السفر على سفن مسيحية أثار مشاكل شرعية وعملية، كما تعرضت المراكب في البحر إلى خطر الرياح الشديدة كما حدث سنة (507هـ/1113 م)[92].

كما أن تأثير الاحوال السياسية كان واضحا من خلال اعتراف المرابطين بالخلافة العباسية، الأمر الذي أدى بالخلافة الفاطمية الى التضييق على الحجاج المغاربة في مصر، حتى أصبح الحجاج المغاربة يعدلون عن طريق مصر[93].

وكثر بسبب ذلك استعمال الطريق البحري الذي يمر بالمدن الايطالية والصقلية، ومن صقلية الى عكا وأصبح المغاربة يفضلون طريق عكا بسبب المضايقات التي يتلقونها من المصريين، ولاسيما في بدايات النصف الثاني من القرن 6هـ/12 م[94].

---

89) **طرابلس**: مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر بها أسواق حافلة وحمامات كثيرة وبينها وبين سرت عشر مراحل وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون .**الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، د ت، ص389.**

90) عبد الله بن محمد العياشي: المصدر نفسه، ج1، ص125.

91) برقة مدينة كبيرة بين الاسكندرية وإفريقية، بينها وبين البحر ستة أميال. **الحميري: الروض المعطار، ص91.**

92) يمكن القول أن كبار الفقهاء في العصر الصنهاجي أمثال عبد الخالق بن عبد الوارث أبو القاسم السيوري وهو من كبار علمـــاء المذهب المالكي وأبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري لم يحجوا وكانوا يرون أنه يتعذر أداء فريضة الحج بالنظر إلى المخاطر المترتبة عليها.**وجدان فريق عناد: المرجع السابق، ص74.**

93) عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت القاهرة، 1983، ص268-269.

94) المرجع نفسه، ص321-322؛ **ووجدان فريق عياد: المرجع السابق، ص75.**

وقد ذكر ابن جبير، وبين الظلم الذي كان المغاربة يتعرضون له في المشرق على أيدي موظفي الدولة خاصة في مصر، يقول"كما أنه لا عدل ولاحق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين، أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين"[95].

ذكر ابن القطان أن ابن تومرت توجه الى الحج الى بلاد الحجاز متجها الى الاندلس وجاز من مرسى ألمرية بمركب نحو الشام ومنها الى الحجاز[96]، ودعم ذلك ابن خلدون الذي زاد بأنه درس في قرطبة ومنها جاز عبر البحر الى الاسكندرية ومن هذه الاخيرة تحول الى مكة برا [97]وهذا يدل على أن بعض المغاربة ومنهم أيضا حجاج بلاد المغرب يستخدمون الطريق البحري للحج.

يذكر ابن خلدون رحلة حجية قام بها كبار رجال الدولة الزيانية سنة 724هـ منهم حاجب السلطان الزياني أبي تاشفين وهو هلال مولى يحي بن موسى، حيث أقلع من مرسى هنين بساحل تلمسان في عدة سفن اشتراها بماله الخاص وشحنها بالقوت والرجال، ونزل في ساحل الاسكندرية، ثم صحب ركب الحج من القاهرة برا ولقي في طريقه سلطان السودان من مالي منسى موسى ونشأت بينهما علاقة صداقة[98].

الخاتمة:

---

95) الرحلة، دار صادر، بيروت، 1959م، ص56.

96) ابن القطان:نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغـــرب الاســـلامي، ط1، 1990، ص62.

97) العبر، ج6، ص301-302.

98) يقول بن خلدون: هلال أصله من سبي النصارى القطلونيين، أهداه السلطان ابن الأحمر إلى عثمان بن يغمراســـن، وصـــار إلى السلطان أبي حمو، فأعطاه ولده أبا تاشفين فيما أعطاه من موالي المعلوجي، ونشأ معه تربيا، وكان مختصا عنده بالمداخلة والدالة، وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حمو. ولما ولي بعده ابنه أبو تاشفين ولاه على حجابته، وكان مهيبا فظا غليظا، فقعد مقعـــد الفصل ببابه وأرهب الناس سطوته، وزحزح المرشحين عن رتب المماثلة إلى التعلق بأهدابه، فاستولى على أمر السلطان. ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب، واستأذن السلطان في الحج وركب إليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله وشحنها بالعديد والعدة والأقـــوات والمقاتلة وأقام كاتبه الحاج محمد بن حونته بباب السلطان على رسم النيابة عنه. وأقلع سنة أربع وعشرين فنزل بالإسكندرية، وصحب الحاج من مصر في جملة الأمير عليهم، ولقي في طريقه سلطان السودان من مالي منسى موسى، واستحكمت بينهما المودة. ثم رجع بعد قضاء فرضه إلى تلمسان، فلم يجد مكانه من السلطان. و لم يزل بعد ذلك يتنكر له وهو يسايسه بالمداراة والاستجداء إلى أن سخطه؛ فتقبض عليه سنة تسع وعشرين وأودعه سجنه؛ فلم يزل معتقلا إلى أن هلك. العبر، ج7، ص152؛ ومحمد بن معمر: المرجع السابق، ص286.

-عرف المغرب الأوسط الجزائر" الحج منذ بداية الفتح الاسلامي، وكان بمبادرات شخصية سواء خلال العهد الرستمي أو الحمادي، وبدءا من العهد الموحدي ظهر الموكب الرسمي ليصبح أكثر تنظيما في العهد الزياني والمريني.

-اهتم سكان المغرب الاوسط "الجزائر" بركب الحج وهيئوا له المسالك والطرق من خلال توفير مختلف السلع وحفر الأبار وتوفير الأمن بل وحتى تقديم المساعدات المالية والمئونة الممكنة.

- اختلفت طرق الحج والمسالك من فترة لآخرى ومن مكان لآخر في بلاد المغرب الأوسط حيث تعددت بين الطريق البري الشمالي، الذي ينطلق عادة من تلمسان وملیانة مرورا بالشلف وميلة وصولا الى قسنطينة ثم بونة وتونس ومنها الى الاسكندرية، إضافة الى الطريق الصحراوي القادم من توات مرورا بالساورة واركلا وتوقرت وصولا الى نفزاوة بليبيا ثم الى القاهرة، وهناك الطريق البحري الذي برز أثناء انفلات الامن وسيطرة قطاع الطرق على المسالك البرية حيث كانت الاندلس وصقلية أهم منطلقاته.